تاريخ الاستلام: 2022/09/14 تاريخ القبول: 2024/01/31 تاريخ النشر: 2024/02/01

د. علي طـاليبي [1*]
جـــامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)
Email : a.talibi82@univ-chlef.dz
د. جمال حريـــشة [2]
جـــامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)
Email : d.haricha92@univ-chlef.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بدور المرأة الصحراوية ونضالها في ثورة التحرير الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي، إذ تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي وقد قاومه الجزائريون ببسالة سواءا في المقاومات الشعبية أو الثورة التحريرية الكبرى، هذه الأخيرة التي تجند لها كل فئات المجتمع الجزائري بما فيها المرأة التي لعبت دورا بارزا في مسارها وخاصة المرأة الصحراوية وبحكم أن الصحراء الجزائرية ذات مساحه شاسعة مترامية الأطراف فقد قاومت المرأة قساوة المنطقة الطبيعية الصعبة والمناخ الجاف الحار فانضمت للثورة وتجندت في صفوف جيش وجبهة التحرير، رغم المشاكل التي اعترضتها خاصة عادات وتقاليد المنطقة.

وسنتعرض في هذا المقال إلى دور المرأة كمسبلة وممرضة وشاعرة، فقد قامت بتوزيع المناشير كما شاركت وساندت في المظاهرات والاحتجاجات الشعبية إلى جانب أطفالهن وأزواجهن وشيوخهن، كما سنتطرق الى موقف السلطة الفرنسية من هذا النضال وسياسة الأخيرة في القضاء على المرأة الصحراوية ووأد نضالها.

الكلمات المفتاحية : المرأة الصحراوية ، الثورة التحريرية ، الصحراء، النضال، الجزائر.

Abstract:

This study aims to define the role of the desert woman and her struggle in the great liberation revolution against the French occupation. Prominent in her path, especially the desert woman, and given that the Algerian desert has a vast and sprawling area, women resisted the harshness of the difficult natural region and the hot dry climate.

In this article, we will discuss the role of women as a nurse, a nurse, and a poet, as she distributed leaflets and participated and supported in the popular demonstrations and protests alongside their children, husbands and elders.

***Keywords**: desert women - Liberation Revolution - Sahara - Struggle - Algeria.*

[*] المؤلف المرسل

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العدد 02 –السنة 2024 ص ص 313–332
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8152

المقدمة

تعرضت الجزائر في القرن التاسع عشر لأعنف استعمار همجي عرفته الإنسانية، جاء ليقضي على الأرض والإنسان معا، إلا انه اصطدم بثورة مستمدة من قيم ومبادئ سامية، عملت على استرجاع السيادة الوطنية والهوية المغتصبة، فقد كانت الصحراء مسرحا لأهم الأحداث في تاريخ الثورة التحريرية الكبرى 1954-1962م، التي دأبت للتحضير في نطاق واسع، فهبت شرائح المجتمع للدفاع عنها خاصة المرأة الصحراوية، التي مازالت ذاكرة الثورة تحتفظ بصورة مشرفة حول مساهمتها في البطولة والتضحية.

وفي هذا المقال ارتأينا أن نسلط الضوء على دور المرأة الصحراوية في الثورة التحريرية، والتي شكلت عنصرا أساسيا ودورا رياديا في الثورة إلى جانب الرجل في تحمل المسؤولية والمهام ضد المحتل الغاشم ، فانضمت منذ الأيام الأولى لتفجيرها رغم الصعوبات والعراقيل التي كانت تضايقها إلا أن إيمانها بواجبها حتم عليها التضحية من اجل الوطن ، وفي هذا السياق سنحاول الإجابة على الأسئلة التالية: ما هي أهم ادوار وأعمال المرأة أثناء الثورة؟ وما هي العراقيل التي اعترضتها ؟ وكيف جابهها المحتل الفرنسي؟

وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي بأدواته التحليل والوصف لأنه اقرب إلى نقل الحقائق والوقائع التاريخية التي سادت في المنطقة.

موضوع البحث

2.مهام وأدوار المرأة الصحراوية أثناء الثورة التحريرية :

إنظمت المرأة الصحراوية إلى صفوف جيش التحرير الوطني، فأصبحت عنصرا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه، وأبلت بلاءا منقطع النظير، لتصبح الثورة في المدن

والقرى والصحاري، ولأنها تمثل جزءا هاما في القاعدة الشعبية (الهادي درواز، 2009، ص48)، فكان لزاما العمل معها في سرية كاملة وتامة، فهي الأخرى أيضا شاهدت وعايشت همجية وظلم المستعمر، فأكنت له حقدا دفينا إلى غاية انطلاق الشرارة النوفمبرية، كما عرف عليها الثقة اللامتناهية والأخلاق الحسنة، وكتمان السر والاحتراس والإخلاص للوطن ، والتي اشتهرت به نساء جبال القعدة بعين ماضي.(مصطفى بن عمر، 2009، ص97).

لقد أسندت إليها مهاما عديدة تمثلت في التعبئة والتجنيد الواسع لمختلف الشرائح، فاستعملت اللقاءات الفردية والمناشير الإعلامية، وتوزيعها على الأحياء والبيوت والشوارع، دعما للثورة واستمراريتها (الهادي درواز، 2009، ص127) وطريقة الاتصال وتجنيدهم تتم في الأعراس والأفراح والمناسبات الدينية .

فكانت تقوم باستقبال المجاهدين في الكوخ أو الخيمة، وتقوم بتحضير الطعام والشراب، وترقع اللباس وتخبئ الأسلحة والمواد الغذائية، مثل المجاهدة قنان ناصر من مواليد 1935م(فاطمة الزهراء حوتية ، ديسمبر 2016 ، ص 59) ، وتنسج القشابية والبرنوس في فصل الشتاء، لبرودة الطقس ولأهميتها الكبيرة في التدفئة وإخفاء السلاح بل تعدت أدوارها إلى إخفاء الوثائق الهامة في أماكن لا يعرفها إلا هي، وهذا إنما دل على شيء فإنما يدل على أن المرأة كانت صادقة ومحل ثقة كبيرة.

ومن المجاهدات أيضا نذكر المجاهدة فطيمة بلحمر التي قامت بدور كبير أثناء الثورة التحريرية، قائلة في ذلك:"كان يأتينا المجاهدون فأقوم وأحضر لهم الشاي والقهوة ،وأطهي لهم الطعام..". (عبد الحق كركب، 2021، ص16)

كما لعبت المرأة الترقية دورا كبيرا من خلال المجاهدة فاطمة حنيش المولودة خلال 1923، وهي زوجة المرحوم قدور بحبح بن عبد القادر روابح في دعم ومساندة

ومؤازرة الثورة والثوار، حيث حاربت المستعمر الفرنسي بكل ما تملك من أجل تحرير الجزائر، فقد عملت كمسبلة، وحافظة للأسرار المتعلقة بالثورة، ونقلت ومررت الأسلحة، وجمعت التبرعات، فكان منزلها بغدامس على الحدود الليبية مخبأ ومأوى للمجاهدين، سواءا بإطعامهم أو إقامتهم، وبستانها الذي كان تخبئ فيه الأسلحة، ومنه كان منزلها جسرا للأسلحة القادمة من ليبيا ومصر للمناطق الداخلية من الوطن.

ومن مجاهدات الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية نجد المجاهدة المسبلة قويدري جمعة، من منطقة العبادلة جنوب بشار، فرغم الظروف الصعبة من طبيعية واجتماعية، إلا أنها حملت على نفسها تحدي ذلك، فزاولت أعمالها في البدو، مرتحلة متنقلة بين أنحاء مناطق بشار، تقوم بأعمال الطبخ وإسعاف الجرحى، وإرسال المؤونة من مياه وأكل ولباس وأفرشة منسوجة من أيدي حرائر الصحراء. (عبد الحق كركب، 2021، ص16)

فالمرأة التارقية في اليزي خدمت ثوار الجزائر بتحضير مشتقات الألبان والطعام وصناعة الملابس من الصوف والجلود، كما أن المرأة وبشهادة الكثير من المجاهدين تولت وظيفة التمريض ومعالجة الجرحى وإسعافهن ، فقد تعلمت هذه المهنة الكثيرات من خلال التدريبات المستمرة أو أثناء كفاحهن(ليلى تتة ، 2013، ص132)، وخير دليل على ذلك المجاهدة الشريفة لطرش فطوم، التي كان زوجها المجاهد والممرض بوهلال لخضر حيث يسعف الجنود، وساهمت معه في الإسعاف حسب شهادتها. (مريم براهيمي، د.ت ، ص152)

كما تولت أعمالا عديدة تمثلت في جمع المال(عبد القادر شارف، ديسمبر 2020، ص36) والمؤونة، من خلال التبرعات والهبات وشراء القماش وحياكته، والأدوية والأغطية الصوفية،والقِربْ للماء والجلود وأدوات الطبخ والمعدات(الهادي

درواز، 2009، ص49)، كما كن مسبلات بأنفسهن في النظام الثوري، يقمَن بأعمال مساعدة، كتبليغ الدعوات وإيصال الرسائل ونقل الماء. (الهادي درواز، 2009، ص70)، كما لها دور في جمع المعلومات المتداولة بين المراكز العسكرية الفرنسية في الصحراء، ومن ثمة إيصالها إلى القيادة الثورية(مُحَّد برمكي،2009-2010،ص 105.)

أنجبت المرأة الصحراوية أبناءا وبناتا، قامت بتربيتهم(الهادي درواز، 2009، ص70) وإعدادهم لهذا اليوم المبارك، كالمجاهدة حسوني مهنية من مواليد 1904م، التي قدمت خمسة شهداء للثورة، وزوجها حسوني ابراهيم الذي استشهد سنة 1955 بنواحي بسكرة، والتي استقبلتهم بالزغاريد، لإيمانها واقتناعها بعدالة قضيتها وحبها للإسلام والوطن.

والمرأة الصحراوية أنجبت الضابط مُحَّد شنوفي، الذي أشرف على تنظيم المظاهرات بورقلة 27 فيفري 1962، والذي توفي في 30 نوفمبر 2012م، والمجاهد مُحَّد ادريس (1931-1959) ببسكرة، كما نذكر المجاهدة رمضاني يمينة المولودة 1922 باليزي، التي شجعت أبناءها بالانخراط في العمل الثوري(فاطمة الزهراء حوتية ، ديسمبر 2016 ، ص 43).

كما وقفت المرأة ضد مشروع دوائر حركات التضامن النسوية، التي يعمل على تنشيطها نساء أوروبيات، هن زوجات لضباط وموظفين إداريين، ومسؤولين ساميين بالإدارة المدنية والعسكرية، وهدفه احتواء المرأة في الصحراء، وجعلها تتماشى مع المساعي، وبتاريخ 30 جوان 1961 قدر عدد المنخرطات بالساورة إقليم بشار 1454 امرأة بالواحات، إلا أن المشروع تم إجهاضه، والعمل دون استمراره من حرائر الصحراء (مُحَّد برمكي،2009-2010،ص 38) ، وبمجرد دخول المجاهدين إلى المنزل لأخذ قسط من الراحة، تسرع الأم إلى تقديم الطعام والماء وإعداد الفراش والحراسة،

كما تخفي بعض المواد في صدرها، وتحمل الماء في القربة على ظهرها وتحمل الحطب وتسير في الصحراء لعدة كيلومترات، بحثا عن المجاهدين لتلتقي بهم خفية عن العدو(مُحَّد قنطاري،2002، ص126).

وقد كانت تقوم بمغالطة وتوجيه الأعداء الوجهة الخاطئة، عند البحث عن المجاهدين المشتبه بهم أو أثناء المطاردة، ولا تلتفت إلى عيون الاستخبارات غير مرتبكة في ذلك ، لقد كانت تنقل على متن الإبل أو الحمير في الليل المؤونة والزاد، وتصنع الصحون من الفخار والطين (مصطفى بن عمر، 2009، ص133)، لتقدم فيه الوجبات للمجاهدين، وتصنع من جلد العنز القِـربُـر.

إن غياب المجاهدين عن البيوت والأحياء بسبب مشاركتهم في الثورة، والمعارك ضد المحتلين، وبقائهم في الصحاري والجبال والكثبان أو السجون لأوقات طويلة، أعطى المرأة قوة وصبرا، وجعلها مسؤولة عن دور زوجها، على غرار مهامها العتيدة، فقامت مقام الرجل ونشطت لوحدها، ومعروف كم هي صعبة ظروف الحياة آنذاك . (ليلى تتة ، 2013، ص48)

كما آزرت النساء الصحراويات المجاهدين مؤازرة نفسية واجتماعية وأدبية، وذلك من خلال مساعدة عائلات وأبناء المجاهدين، والأسرى المعتقلين، ومراقبة تحركات الجيش الفرنسي وإخفاء المجاهدين(مُحَّد برمكي،2009-2010،ص 46) ، كما زغردن حرائر الصحراء بأصواتهن العالية والمدوية والمرعبة للعدو بمجرد سماعهن سقوط الشهداء في ميدان الشرف، ولم تقتصر مهام المرأة الصحراوية في القيام بعملية حربية فقط، أو في حمل السلاح، بل تعدته إلى خياطة العلم الوطني وإرسال الأدوية التقليدية، التي هي من صنعهن بخليط من الأعشاب، فكان لها دعما معنويا منقطع النظير.(القن مُحَّد ، د.ت، ص51)

وعلى سبيل المثال نذكر المجاهدة أميناته السنوسي، التي ولدت في 1938 باليزي، وجمعت الحلي واللباس والأموال مساندة للثورة، إضافة إلى الإيواء والإطعام، والمجاهدة حنيش فطيمة المولودة 1923 في غدامس، عملت مسبلة وحافظة للأسرار المتعلقة بالثورة، ونقلت ومررت الأسلحة، فكان منزلها بغدامس 1956 مركز ومأوى لأعضاء جيش التحرير الوطني، وبستانها كان مخبأ للسلاح والتمويل لإمداد المجاهدين، وكانت جسرا للأسلحة القادمة من ليبيا ومصر للمناطق الداخلية .

وقدر عدد المجاهدات في الولاية السادسة حسب المركز الوطني للدراسات والبحث عن الحركة الوطنية على النحو التالي: فالأغواط احتضنت 95 مجاهدة، وتمنراست 36 مجاهدة، وغرادية 58 مجاهدة، والوادي 43 مجاهدة، وبسكرة 287 مجاهدة، وورقلة 19 مجاهدة، واليزي 03 مجاهدات، والجلفة 98 مجاهدة، والمسيلة 433 مجاهدة . (مريم براهيمي، د.ت ، ص38)

لقد عملت جبهة التحرير الوطنية منذ إنشائها على الاهتمام بالعنصر النسوي، بتنظيم أحوال المواطنين في الصحراء، فعمدت إلى تأسيس عدة تنظيمات مدنية، اهتمت بالأحوال الشخصية والاجتماعية كمحاولة لإبراز الحضور الدائم للثورة، وكسب ثقة سكان الصحراء والتفافهم حولها، فازدادت أكثر تنظيما ووضوحا لمعالمها في مؤتمر الصومام 1956، فيبرز دور النساء بنشر مبادئ وقيم الثورة(مُحَمَّد برمكي،2009-2010،ص 46.)

إن مشاركة المرأة في العمل السياسي ما هو إلا نضج فكري وثوري ووعي بالفكر الاستقلالي، لما وصلت اليه المنطقة من مؤامرات التقسيم، خاصة بعد اكتشاف البترول 1956، حيث عمد المحتل إلى تطبيق سياسة استعمارية عرفتها جميع المجالات في فصل الصحراء

وكانت مشاركة المرأة ايجابية، قضت على الفتنة وروح التفرقة(الهادي درواز، 2009، ص127)، عبرت من خلالها في مسيرات ومظاهرات سلمية ضد الفصل، فلا

شمال بدون جنوب، ولا جنوب بدون شمال، فخرجت من كل مناطق الولاية السادسة . (مُحَّد برمكي،2009-2010،ص 136)

من أهم المظاهرات والإضرابات نجد إضراب ورقلة، الذي دام أسبوعا ابتداء من 28 جانفي 1957، ومظاهرات غرداية سبتمبر 1960، ومظاهرات تقرت 1961، ومظاهرات ورقلة 27 فيفري 1962م، وفي 13 مارس 1962، عرفت منطقة المنقر بالقرب من الطيبات آخر حلقة من سلسة الإضرابات والمظاهرات ، إن مظاهرات ورقلة التي وقعت في سوق الأحد قديما وسوق الحجر حاليا(مُحَّد برمكي،2009-2010،ص 146)

اعتبرت مشاركة المرأة بقوة في المظاهرات ضربة قوية للمستدمر، ورد فعل قوية لسياسته وأكاذيبه في المنطقة، فخروج المتظاهرين من كل الأطياف، خاصة النساء اللواتي عبرن عن وحدتهن ورفضهن للمساومات والمخططات الاستعمارية، فتعالت أصواتهن من أعالي بيوتهن بزغاريدهن التي ملأت المكان حماسة ورهبة، ومن هؤلاء المجاهدة رمضاني يمينة، التي حملت شعارات هادفة عن استقلال الجزائر وحريتهن من بينها :

"الصحراء جزائرية – تحيا الجزائر حرة مستقلة ، تحيا جبهة وجيش التحرير الوطني ، نعم للوحدة الوطنية"،وعبارات مشجعة للحكومة المؤقتة وأناشيد وطنية، وهناك شهادات حية للمجاهد مُحَّد عبد القادر طواهير، حيث يروي كيف تحولت المظاهرات إلى مأتم بزغاريد النساء الصحراويات . (عبد القادر شارف، ديسمبر 2020، ص106)

ويواصل حديثه بقوله خرجت النساء في هذا اليوم صفا واحدا بقيادة نخبة من المجاهدين والمسبلين والمناضلين متحدين ضد الاستعمار الفرنسي، فقد تحولت المظاهرات إلى مأتم بزغاريد النساء الصحراويات، هتفن بلسان واحد: " الله اكبر .. الله اكبر .. تحيا الجزائر"، و استجابت المرأة الصحراوية لتوجيهات قادة الثورة فكانت عارفة للسياسات ودسائس الفرنسيين في المنطقة .

وكذلك نجد مظاهرات 01 جويلية 1961 ضد التقسيم، أي محاولة فصل الصحراء عن الوطن واعتبارها قطعة فرنسية، فعملت قيادة الثورة التحريرية على توعية الشعب والتحذير من الانسياق وراء الطرح الفرنسي،الهادف للقضاء على الوحدة الوطنية والترابية وتمزيق الأمة الواحدة.

كما ناضلت المرأة الصحراوية من خلال الشعر بامتياز، وهو ما خلدته الأم الطاهرة والمجاهدة الطيبة مبروكة بنت المسعود غبايشي 1912-1985، من عائلة مجاهدة كانت مواكبة لأحداث الثورة التحريرية، فكتبت بأحرف من ذهب عن معركة قرداش بتماسين تقرت 28 اكتوبر 1958، والتي استشهد فيها 03 مجاهدين ومات فيها القائد الفرنسي الملقب بقريطيس مع مجموعة من جنوده في معركة بطولية ، لخصت في معانيها البطولة والرجولة وحب الوطن والشهادة في سبيل الله ، والقصيدة بعنوان " جاني رقاب" .

عقب الليل جاني رقـــــــاب
سعدي واسعدت بالأحباب
ما شفتوشي السيد – الصحراوي – إبراهيم
عيسى يحضر يوم الظـــــيم
ما شفتوشي جماعة قـــــرداش
وعليهم ما يتـــــــــعداش
ما شفتو هذا الـــــــــبشير
وللعشا من البرق يشـــــــير
مزنو ركب في يـــــــبرير
غزة القمح مع الـــــــشعير
ما شفتو هذا الـــــــبشير

من كلمات الشاعرة المرحومة : غبايشي مبروكة بنت المسعود

كانت هذه الأغاني لسان المرأة الذي تحكي به همومها وأفراحها، وأداة للتخفيف عنها من المآسي والمعاناة، فهذه أغنية بعنوان " ورقلة واش دارت لفرنسا" للشيخ مُحَّد التاغروني رددتها الكثير من النساء أيام الثورة لتقلن :

يا ورقلة عساس نضرب بالرصاص

ورقلة دارت لفرنسا ديما مقابلها الكور

(عبد القادر شارف، ديسمبر 2020، ص107)

قامت مجاهدات وحرائر منطقة طاسيلي ازجر بأدوار هامة ومساندة للثورة، فقد صنعت أكياس من الخيش تسمى الغراير، يتم نسجها من وبر الإبل لتوضع فيهم الأسلحة القادمة من البلدان المجاورة الحدودية، لتوزع على مناطق التراب الوطني ، فكانت تجمع في منطقة دبداب وواد سوف، ومن المجاهدات نذكر بن فردية الزهرة أرملة المجاهد ماضوي مُحَّد، حيث ساعدن في دفن الأسلحة قرب المنازل لكي لا يكتشف العدو، كما انضمت إلى الثورة ولبت نداء القادة، وهو ما حدث في الأغواط حين انضم المعلمون إليها في جبال القعدة.

ويجر الحديث إلى انضمام الفتاة المتطوعة الصادق حمامة، التي عملت تحت قيادة العقيد لطفي في الولاية السادسة، وقدمت خدمات جليلة للثورة، وعانت من صعوبة التنقل بين الجبال والوديان، حتى أرسلت إلى المغرب لتقدم خدمات للثورة، وإن أبدت رغبتها في البقاء بالجبل فهي جاءت من أجل الكفاح وتحرير الوطن (مصطفى بن عمر، 2009، ص143)

وفي هذا السياق نذكر المجاهدة فاطيمة لوصيف المدعوة عيدة (مواليد 1922)، والتي عرف عليها الحب والحنان والطيبة ومعاملة المجاهدين كأبنائها رغم أنه

ليس لها أبناء ، وشاركت في معركة بوكحيل بالجلفة، وتوفيت سنة 2001، كما قامت بأعمال عسكرية خاطفة ضد دوريات العدو الفرنسي ومنشآته.

غيرت المرأة الصحراوية قلوب بعض الضباط الفرنسيين كالضابط لاشيو من طرف زوجته زهراء طاسيلي ناجر، حيث حولته إلى رجل إنساني يتعاطف مع القضايا العادلة، فكان يتستر على القوافل التجارية، وحتى الذخيرة والسلاح، ويهديها للمجاهدين، ويتستر على الوشايات التي تصله بخصوص عناصر الثورة، من أجل أن تبقى زهرة سعيدة . (فاطمة الزهراء حوتية ، ديسمبر 2016 ، ص 43)

كما وقفت المرأة إلى جانب زوجها في إفشال المشروع الفرنسي، بتزويج 05 آلاف امرأة أوربية من رجال الصحراء وهدفه الباطني عزل الثورة عن الشعب، والقضاء عليها، وظاهره إقامة علاقات مصاهرة، إلا أن المرأة الصحراوية بحكم عاداتها وتقاليدها وقفت في وجه هذا المشروع وأجهضته . (الهادي درواز، 2009، ص136).

2. موقف ورد الفعل الفرنسي :

إن الانتصارات المحققة من طرف المرأة الصحراوية، ومشاركتها الايجابية في صنع ملحمة الحرية والتحرر ، دفعت السلطات الاستعمارية إلى انتهاج ممارسه قمعية، باستخدام كل الطرق والوسائل لسلخ المرأة الصحراوية عن مجتمعها وأسرتها، وقيمها الإنسانية المعهودة فيها، وأصالتها التي ترعرعت معها، فهي عماد الأسرة وأساس قوتها وثباتها، خاصة لما لها من دور كبير الحفاظ على تماسك المجتمع وأصالته، فعمدت السلطات الاستعمارية لمحاولات هادفة إلى تشويه صورتها بأفكار هدامة ومخططات جهنمية، اعتبرتها عنصرا سلبيا على المجتمع، وهو ما أشار إليه المفكر الفرنسي لويس برتراند louis Bertrand في مؤلفه" على طرق الجنوب"، حيث يقول: "هن كالأشباح البيضاء تمشي تحت الجدران وتتسرب في الأنهج المظلمة " وهو وصف اعتمده المفكر

في أن المرأة بمحافظتها على شخصيتها ومقوماتها وشرفها تمثل شبحا، يظل يمشي في الليالي المظلمة. (زهير بن علي2014-2015، ص125).

كما قامت فرنسا بمحاولات للتقرب منها، وكسبها تجسيدا لمقولة "لنعمل على أن تكون النساء معنا وسائر الشعب سوف يتبع "، بهدف القضاء على الثورة والإيقاع بين الجزائريين، فدعوا في الكثير من المرات لتحريرها من العبودية وتسلط الرجل عليها، ومحاولة استعمالها كجاسوسات لمعرفة خبايا وأسرار العمليات الثورية، إلا أن المرأة الصحراوية بإيمانها وقوتها ردت على المستعمر الفرنسي بالكفاح المستميت بالقرب من الرجل، فشاركت في جميع الأدوار الموكلة إليها من قادتها. (عبد الحق كركب، 2021، ص20)

وكذلك لم تسلم من الإجراءات الوحشية، فعانت من التعذيب بألوانه الجسدي والنفسي والمعنوي من ضباط المصالح الإدارية المتخصصة، فبعد عملية الاستنطاق التي هي مقدمة لأقسى أنواع التعذيب، يليها الضرب ثم التعذيب بالماء والكهرباء والنار والحديد .

كما عرفت ألوان الشتم والإهانة لإذلالها وتحقيرها، وزجت في السجن بتهمه جهاد أزواجهن أو أقاربهن ، والتحقيق معها بمجرد الاشتباه في علاقتها بالثورة والثوار، ويتم تفتيش منزلها وترك الأبواب مفتوحة ثم تهديمه، كما حرقت الخيام بما فيها من أثاث، وهدمت آبار المياه وقتلت الحيوانات وقطعت أشجار النخيل بعد المعارك، فهذا انتهاك لحرمتها وإهانة لكرامتها باسم الحضارة والتمدن في حق المرأة.

كما كان المحققون يحضرون زوجات المجاهدين أو أخواتهم أو أمهاتهم للسجون، ويهددونهم في حال عدم الاعتراف وإعطاء معلومات والأخبار بالاعتداء عليهم أمام أعينهم، وتعرضت للتهجير الجماعي والفردي من خلال حاله الطوارئ المفروضة،

فسكنت المحتشدات والمعتقلات والسجون، ومن أهم المحتشدات محتشد امية ريح الذي أنشأ سنه 1955، ومحتشد وادي الناموس الذي أنشأ سنه 1958 وغيرها، فهي مراكز للموت البطيء وتحاط بالأسلاك الشائكة، وتكون في مناطق بعيده ونائية.

عانت المرأة فيه من الأمراض المعدية والجوع والأشغال الشاقة وغسل الدماغ، وأساليب الحرب النفسية من ضباط مكاتب الشؤون الأهلية sas ، وعمليات التعذيب والقتل، والحرمان من أبسط متطلبات الحياة في وسط تكثر فيه الأوساخ والقاذورات، نتيجة للاكتظاظ وغياب وسائل النظافة في بيئة مزرية، ومن أهم مراكز الاعتقال نجد معتقل افلو ورقان والبرج الأحمر أمثلة لإذلالها ومعاناتها وتحطيم معنوياتها في ممارسات جهنمية يعكس شكل من أشكال حرب الإبادة الجماعية

كما جربت عليها أنواع من التجارب البيولوجية والحيوانية، وعانت من الجرائم النووية منذ سنه 1957 برقان وتفجير أول قنبلة ذريه 13 ماي 1960 بمباركة الجنرال ديغول، فقد وصل تأثيرها إلى مسافة 70 km من مكان انفجارها و مازالت أثارها المدمرة إلى يومنا هذا، وعمدت السلطات الاستعمارية إلى كسب المرأة عبر سياسة متعددة الأشكال والألوان قصد إبعادها عن الثورة، في إطار التنظيم الاجتماعي وممارسة الدعاية والأنشطة الاجتماعية، ومحاولته إدماجها في إطار التركيبة الفرنسية ضمن مشروع دوائر حركات التضامن النسوية الأوربية لتتماشى مع الأهداف والمشاريع الفرنسية.

3. الصعوبات والعراقيل المعترضة لنشاطها:

الحديث عن أهم الصعوبات والعراقيل التي اعترضت حرائر الصحراء في أداء نشاطها الثوري، والقيام بدورها المنشود لم يحل بينها وبين تحقيق أهدافها وطموحها ومن هذه الصعوبات نجد:

– المناخ الصحراوي الجاف المتميز بحرارته الشديدة صيفا وبرودته شتاءا، وشح تساقط الأمطار وتضاريسه الوعرة ورياحه الشديدة ،كما أن طول المسافة بين مواقع التمركز وتباعد السكان، وشساعة المساحة صعب من عملها . (مُحَمَّد برمكي،2009-2010،ص 08.)

– إن إشراك المرأة في النضال فكرة صعبة، فالمجتمع غلب عليه الطابع المحافظ من عادات وتقاليد، خاصة في البيئة الريفية، لأن المرأة تربت على مبادئ منها إحترام الرجل (ليلى تتة ، 2013، ص45)، والإمتثال لأوامره وعدم الخروج من البيت إلا بالمشورة، فخروجها جرم لا بد من معاقبتها عليه، وأعمالها تتم بمراقبه زوجها أو وليها، فمحاولة إشراك المرأة في الثورة سيؤدي للاصطدام بالمجتمع، الذي له أعراف خاصة، فالمجتمع هو حاضن الثورة ومهدها لمواجهة المستدمر.

– فكان لزاما على قاده الثورة إقناع المجتمع بمشاركة المرأة، فجاءت الرسالة النوفمبرية التي تدعو كل فئات المجتمع إلى المشاركة في المسعى التحرري دون تهميش لفئة معينه، ومما زاد الالتفاف بها مقررات مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، الذي تحدث عن الحركة النسائية، فهي محور وسائل الدعاية والعمل، فتحويل هذا السيل الشعبي إلى طاقة خلاقة، والمرأة لها إمكانيات واسعة تزداد وتكثر، فالزوجات والأمهات والفتيات لهن شجاعة والتحام بمبادئ الثورة. (ليلى تتة ، 2013، ص45)

وهو ما أشار إليه نص ميثاق مؤتمر الصومام في طياته :"توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر باضطراد ،وإنا لنحيي بإعجاب وتقدير ذلك المثال الباهر الذي ضربته الشجاعة الثورية للفتيات والنساء والزوجات والأمهات .....ذلك الذي تضربه جميع أخواتنا المجاهدات اللائي شاركن بنشاط كبير،

وبالسلاح أحيانا في الكفاح المقدس من أجل تحرير الوطن " (وزارة الاعلام والثقافة،2009، ص40)

كما أشار إليه أيضا ميثاق مؤتمر الصومام في استغلال الطاقة التي تمتلكها المرأة الجزائرية في قوله :"....توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر باطراد".

– تفكير بعض قيادات الثورة بعدم تعريض النساء للخطر، وكذا الخوف من عامل الثقة في الحفاظ على أسرار الثورة، إذا ما القي عليهن القبض أثناء التعذيب والاستنطاق، كما لا يسمح بتجنيدهن إلا بالحصول على إذن من أوليائهن، ومع هذه العوائق إلا أن المرأة الصحراوية صبرت على الشدائد والمظالم والأعمال الإجرامية للمستدمر، حتى قال في حقها المحافظ كوستا costa ما نوعية هذا الشعب حتى تكون نساءه من هذه النوعية؟.

الخاتمة :

أثبتت الثورة التحريرية الكبرى وجود علاقة قويه بين الثورة وأفراد الشعب خاصة المرأة عبر ربوع الوطن وفي هذه الدراسة يمكن استخلاص جملة من النقاط وهي كما يلي:

– تتميز المرأة الصحراوية بمناقب وصفات وأخلاق معروفه منذ الأزل فالثورة ثورتها واستمرارها وانتصارها ما هو إلا مهمة نبيلة مقدسه لها

– قدمت حرائر الصحراء النفس والنفيس في سبيل تحرير الوطن واسترجاع السيادة الوطنية

– تحتفظ لنا ذاكره الأيام وأحداثها بأن المرأة الصحراوية قد دخلت معركة التحرير وكلها إيمان بالنصر

– رغم الاختلاف والتباين والصعوبات والمضايقات والأعمال الجهنمية في حقها إلا أن كفاحها ونضالها يشهد عليه التاريخ فهي ابنة جبهة وجيش التحرير الوطني

– كانت المرأة الصحراوية عنوانا لتضحيتها وبروز شخصيتها وسطوع نجمها ومن هن كثير من النساء طيلة 7 سنوات قدمن ما يملكن من جهد بدني ومعنوي وارتقين بمسؤوليات عديدة في مختلف الميادين

– سجلت المرأة الصحراوية حضورها وانتصاراتها الباهرة للعدو لتضيف صفحه من صفحات المجد والبطولة في سجلها التاريخي ورصيدها الحضاري كما ان الوطن مازال في حاجتها من معركة الحرية إلى معركة البناء والتشييد.

ملاحق :

الملحق رقم [01] يمثل صورة للمجاهدة طعبة خيرة

المصدر : https://www.djelfa.info/ar/art_culture/11799.html ، تاريخ الاطلاع 2021/08/26

الملحق رقم [02] يمثل صورة للمجاهدة فاطمة لوصيف

صورة للمجاهدة فاطمة لوصيف وزوجها الشهيد شبشوب

المصدر: https://said1989fol2.blogspot.com/2019/12/blog-post_9.html ، تاريخ الاطلاع : 2021/08/26

الملحق رقم [03] يمثل صورة الشاعرة المجاهدة مبروكة بنت المسعود غبابشي

المصدر : https://mouhoubi51.blogspot.com/2014/11/blog-post_8.html ، تاريخ الاطلاع : 2021/08/27

الإحالات والمراجع:

الكتب:

1- بن عمر، م، (2009)، **الطريق الشاق إلى الحرية**، الجزائر:دار هومة

2- درواز، هـ ، (2008)، **الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع (1954-1962)** ، الجزائر:دار هومة

قنطاري، م، (2002)، **من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة وجرائم الاستعمار الفرنسي حقائق ووثائق ودراسات**، الجزائر: دار الغرب الجزائري.

3- وزارة الإعلام والثقافة، 1979،النصوص **الأساسية لجبهة التحرير الوطني، (1954-1962)**,الجزائر

المقالات:

1. بشي، ا، (جوان 2013)، **دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومه المستعمر الفرنسي** مجله العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد11.

2. تيته، ل، (2013)، **دور المرأة الجزائرية في النضال التحرري من هذا مواثيق الثورة ،(1954-1962)** ،مجله منتدى الأستاذ، العدد13.

3. حوتية، ف، ديسمبر 2016، **ظروف تأسيس الجبهة الجنوبية للثورة وابرز قادتها**، مجله روافد البحث والدراسات

4. شارف، ع، ديسمبر2020، **صوت المرأة الجزائرية في ضوء الأغنية الشعبية أثناء الثورة التحريرية** مجله جسور المعرفة، المجلد06، العدد04 .

قسيبة،ر، **المحتشدات الفرنسية في الصحراء الجزائرية أثناء الثورة التحريرية من خلال الرواية الشفهية** مجله البحوث والدراسات العدد20صيف 2015

5. كركب، ع ، (2021)، **اسهامات المرأة الجزائرية في الجنوب الجزائري وأدوارها الانسانية خلال الثورة التحريرية (1954-1962)**,مجلة روافد للبحوث والدراسات مج 6ع2

الرسائل الجامعية:

1. بن علي، ز، 2014-2015،**قضايا المرأة في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية (1925-1954)**رسالة ماجستير جامعة الحاج لخضر .

2. برمكي، م،(2009-2010)، **الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية (1954-1962)**، مذكره لنيل شهادة الماجستير.

الجرائد والصحف:

1. براهيمي، م، **تاريخ ونضال من كفاح المرأة النايلية**، المجلة النايلية، http://djelfa4cooking.blogspot.com/p/enayliya.html
2. جريده الشروق (15فيفري 2016)، **مقال خنساوات الثورة شجاعة استثنائية وصمود أسطوري**، العدد10457
3. جريده المساء 7نوفمبر 201 ق. ث الطاسيلي ازجر
4. القن،م، **فصل الصحراء الجزائرية وبعض ردود الفعل المحليه (1957–1962)**، جريده المصادر العدد29
.